الأدب الساخر

10.0

د.غزلان هاشمي

25/03/2024

قائمة المحتويات

وحدة	5
مقدمة	7
I-السخرية في الأدب :تعريفها	9
II-إرهاصاته :	11
III-خصائصه:	13
IV-هدف السخرية:	15
خاتمة	17
قائمة المراجع	19
مراجع الأنترنيت	21

وحدة

ـ تهدف هذه الوحدة إلى تسليط الضوء على نوع من الآداب التي همشت قديما وحديثا نظرا لموضوعها وفضاءات تلقيها ،ألا وهو الأدب الساخر.
ـ محاولة التعرف على إرهاصاته قديما وتطوراته حديثا وكذا أهدافه وغاياته.

مقدمة

انعكست السخرية في صنوف الفنون والآداب على اختلاف أنواعها من الشعر للرواية للقصة القصيرة للمقالة، ناهيك عن المسرح والسينما. وبرزت صورتها في الأدب كقناة للوصول إلى قلب المتلقي عبر الابتسامة والموقف المفارق والضحكة ليستطيع إيصال الأفكار التي لا يستطيع الجهر بها علنًا أو محاولة إيصال الفكرة بطريقة أكثر سهولة ويسرًا من الأسلوب الجاف والجاد أو ليفسح مجالًا لتجاوز سوداوية الواقع وظروفه البائسة، من خلال رصد الموقف المغرق في الحزن وتحويله إلى مصدر للضحك كأن تقول الشيء ونقيضه في اللحظة الواحدة.

I السخرية في الأدب :تعريفها

هو العنصر الذي يحتوي على توليفة من النقد و الهجاء ، و التلميح و التهكم و الدعابة ، بهدف التعريض بشخص ما أو مبدأ أو فكرة أو أي شيء و تعريته بإلقاء الأضواء على الثغرات و السلبيات و أوجه القصور فيه . فالهدف الأول للأدب الساخر إذن هو هدف تصحيحي سواء على المستوى الأخلاقي أو المستوى الجمالي ، و لا تحمل كل الكتابات الساخرة بالضرورة روح الاستهزاء و الاستهانة و الهجاء القاسي بل كثيرا ما يلجأ الكاتب الساخر إلى عنصري المواجهة و التناقض في دحض بعض العقائد و الأفكار البالية ، و كشف و تعرية بعض الأنماط البشرية المثيرة للاشمئزاز و الاحتقار. (1)

II إرهاصاته :

عند الغرب:

على الرغم من وجود فقرات في التوراة و أشعار هوميروس تتميز بروح السخرية الواضحة و على الرغم من أن مسرحيات أريستوفانس الكوميدية زاخرة بالسخرية الثقيلة ، فإن أول كتابات ساخرة تخضع للمواصفات النقدية للسخرية كانت باللاتينية ، فقد كان الكاتب الروماني " لوسيلياس " المتوفي عام 103 قبل الميلاد رائدا فعليا في هذا المجال ، ففي كتاباته حاول أن يصل إلى أغوار النفس البشرية كي يستأصل كل ما يعوق العقل الإنساني عن النظرة الصائبة للأمور ، لذا أرسى التقاليد الأولى لهذا الفن الذي دعمه فيما بعد هوراس (توفي عام 8 قبل الميلاد) و بيرسيوس (توفي عام 62 ميلادي) و جافينال (توفي عام 140 ميلادي) من خلال قصائدهم التي سخرت من الأفكار السائدة.

كان هوراس قد ألف النماذج الأولى للقصائد الساخرة التي تتميز بالرقة و التعاطف و النظرة العامة الشاملة في حين أرسى جافينال تقاليد الكتابة الساخرة القاسية التي لا تعرف الرحمة أو أنصاف الحلول.

و قد استأثرت القصائد الساخرة باهتمام الناس في العصور الوسطى رغم سيطرة الروح الديني و ما رافقها من تعنت و تزمت و جدية ، و استمر الأمر حتى مع عصر النهضة ، لكن مع حلول فترة الكلاسيكية الجديدة انتشرت القصيدة الروائية التي تمزج البطولة بالتهكم بهدف نقد النفس البشرية التي قد تجمع داخلها البطولة مع أنواع الرذائل ، لذلك برع كل من تاسوني و بوالو و ديبرو في كل من إيطاليا و فرنسا في النقد الاجتماعي اللاذع . أما في إنجلترا فقد برز النموذج الشعري الذي يمزج بين البطولة و التهكم من خلال التناقض الحاد بين المظهر الآخاذ البراق و الجوهر التافه السخيف كما في قصيدة " ألكسندر بوب " « اغتصاب خصلة الشعر »...

و لم تقتصر السخرية على الشعر فقط بل انتقلت إلى المسرح ، كما عند موليير و برنارد شو و يوجين أونيل... في القرنين 12 و 13 ظهرت فئة من المهرجين الجوالة العاشقين للثقافة و الفكر الساخر في ألمانيا و فرنسا و إنجلترا ، و نبغت في الأشعار الغنائية الساخرة التي شاعت على ألسنة الناس ، و بلغت قمتها مع أعمال الأديب الفرنسي رابليه...

أما أشهر الكتابات الساخرة في العصور الحديثة فقد برزت في مجال الرواية من خلال أعمال رابليه ، سيرفانس ، سويفت ، فولتير ، صامويل باتلر... إذ تجسدت السخرية اللاذعة أو الرحيمة في مواقفهم و شخصياتهم التي جسدت كل مظاهر الضعف الإنساني من إغراء و خسة و غرور و وهم و خداع للنفس...

هذا و نجد السخرية أيضا في الرقص و الموسيقى و الفنون التشكيلية... لينتقل إلى الكاريكاتير المعاصر...

وقف هدف الأدب الساخر إلى إصلاح المجتمع و تطويره... إذ قد تكتفي بالتلميح إلى موضوعات الساعة خاصة السياسية منها ، أو إلى الكشف عن الفساد باستخدام الهجاء الفاحش...

عند العرب:

أما في عالمنا العربي ظهرت ملامح السخرية في العصر الجاهلي و بالذات في شعر الهجاء الذي كان قاسيا عنيفا ، حيث سخرها الشعراء للدفاع عن القبيلة و الاستهزاء بالقبيلة الخصم ، حتى جاء الإسلام ليتحول صوب كل من قاوموا الدعوة الجديدة... لكن تقاليد فن السخرية ترسخت في الأدب العربي على يدي الجاحظ في القرن الثاني الهجري (القرن الثامن ميلادي) حيث بين إن ما يظنه الإنسان كمالا في بعض الأحيان ليس كمالا و ما يوضع موضع التقدير ليلا لا يلبث أن ينهار إذا طلع عليه النهار...

لقد سرد الجاحظ في كتاب البخلاء قصصا شتى عن البخل و البخلاء ، بل و حتى كتبه الأخرى لا تخلو من السخرية التي هدفت إلى الكشف عن عيوب المجتمع ، حيث قال : « لا يغضب من المزاح إلا كز الخلق ، و لا يرغب من المفاكهة إلا ضيق العيش ... الجد مبغضة و المزاح محبة »

و عندما استقلت مصر في عهد ابن طولون عن الخلافة العباسية ، بزغ نجم شاعر ساخر عرف بلقب الجمل الأكبر ، و كان نديما للأمراء يروي لهم النوادر و الملح التي دارت حول البخلاء و الطفيليين ، و في عصر الإخشيد خلفه شاعر ساخر آخر لقب بالجمل الأصغر... لكن السخرية في الدولة الإخشيدية ظهرت أكثر مع شاعر لقب سيبويه المصري تظاهر بالحمق و الجنون كي ينقد في قصائده اللاذعة الدول الأجنبية و موظفيها المرتزقة... منفسا عما يقع على الناس من ظلم و بطش.

أما في العصر الفاطمي فقد تفنن الشعراء المصريون في السخرية من الخلفاء الفاطميين ، و شككوا في نسبهم إلى فاطمة الزهراء ، خاصة أن من خلفائهم من ادعى علم الغيب بل و الألوهية. كذلك امتدت السخرية لتشمل أساليب إدارتهم للبلاد ، خاصة توظيفهم لليهود في المناصب الكبرى مما اضطر الخلفاء في النهاية إلى إبعادهم عن أعمال الدولة و دواوينها ، و لعل ابن قادوس الدمياطي كاتب الإنشاء في أواخر العصر الفاطمي أهم شاعر ساخر في ذلك العصر ، فقد هاجم كل مظاهر النفاق السياسي و التطفل الاجتماعي و الانتهازية... وصف ذات يوم أحد المنافقين :

حوله اليوم أنا من كلهم يزهى برائه

و هو مثل الماء فيهم لونه لون إنائه

أما في العصر الأيوبي فقد ازدهر فن السخرية رغم وطأة الحروب الصليبية فقد ابتكر القاضي الفاضل وزير صلاح الدين و كاتبه ابن سناء الملك ما يمكن تسميته بالسخرية التعليمية التي تعتمد على التورية الخفيفة التي لا تثير الضحك بقدر ما تثير التفكير . أما البهاء زهير الذي جاء بعدهما فقد أعاد للسخرية دعابتها المرحة... لكن كان الأسعد بن مماتي المشرف على ديوان الجيش و المال في عهد صلاح الدين نجم السخرية ، حيث ألف «كتاب الفاشوش في حكم قراقوش » الذي سخر فيه من قراقوش التركي أحد قواد صلاح الدين و الذي اشتهر بالغباء و الشدة و القسوة.

كذلك عرفت مصر و الشعوب العربية المسرح الشعبي القديم الذي عرف باسم خيال الظل ، و ازدهر في عصر المماليك إذ عرف وقتها شاعرا ساخرا بابن دانيال إذ ألف ثلاث مسرحيات : طيف الخيال ، عجيب و غريب ، متيم في عهد الظاهر بيبرس ، حيث سخر من الحياة الاجتماعية و الثقافية...

و بحلول العصر العثماني ازدهرت السخرية السياسية في مصر...

هذا و شهد العصر الحديث ازدهارا في الأدب الساخر ، حيث ظهر الشيخ حسن الآلاتي (توفي 1889) ألف كتاب " ترويح النفوس " ضمنه الحكايات الفكاهية التي تسخر من سلبيات المجتمع ، و كذا محمد عثمان جلال في القرن الـ 19 ، و مع ظهور الصحف اليومية في عهد إسماعيل ، صدرت صحف هزلية ساخرة ، فانتقل الأدباء من مرحلة السخرية الخفيفة الهازلة إلى السخرية الجادة المفكرة الناقدة ، و من رواده يعقوب صنوع بصحيفته " أبو نظارة " و عبد الله النديم أحد زعماء الثورة العرابية بصحيفته " التنكيت و التبكيت " و " الأستاذ "

أما حافظ إبراهيم شاعر النيل فعرف بالسخرية اللاذعة التي تجلت في مجالسه التي تصيب أكثر من هدف في وقت واحد. و مع ذلك نجد في ديوانه قصائد فيها سهرية ناهيك غن أسماء أخرى مثل بيرم التونسي و عبد القادر المازني... و بعد ثورة 1952 فرضت قيود كبيرة ، فمن ينتقد و يسخر يكون مصيره المعتقل أو الطرد أو المنع من الكتابة... لذلك صارت النكات تداول على ألسنة الناس... (2)

III خصائصه:

- أنه يثير الضحك لدى المتلقي ,وهو ضحك يقصد إليه المنشئ قصدا نتيجة لما مر به من ظروف قاهرة .
- أنه يمتاز من الناحية الفنية بالإيجاز والتكثيف .
- أنه يتضمن بعض المحسنات البديعية بل ويعتمد عليها, كالتورية.
- أنه له قبول عند العامة والخاصة في ذلك العصر , حيث راج سوقه في حين انكمش الأدب الجاد الفني .
- أنه كنوع من الاحتجاج على السلطة , وكتعبير عن رفض الأوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية. (3)

IV هدف السخرية:

السخرية أسلوب في التعبير وليست هدفًا للأديب بحد ذاتها، وإنما سبيل لإيصال رسالته الفكرية والفنية التي تمتاز بالجرأة على التقاط الموقف المفارق الذي يثير الاستهزاء والكشف عن الموضوع المراد تسليط الكشاف الرؤيوي حوله لإبراز عيوبه ومساوئه.

لا شك أن فن السخرية يربي في الناس ملكة النقد و يوقظ فيهم الوعي بأخطائهم و حماقاتهم فهو يدفعهم إلى الضحك من كل ما يحسون فيه مخالفة للطبيعة الإنسانية السوية ، فيضحكون من المغفل و الجاهل و البخيل و الجبان و الفوضوي و الشارد... و ضحك السخرية يمتزج أحيانا بالازدراء أو الإعجاب أو الهزل أو الانتصار أو العطف... و هذا الضحك تصحيح لانحرافات مختلفة أو قصاص عادل منها لشذوذها على المجتمع السوي ، و لذلك فالسخرية عقاب و قصاص و تأديب ينتقم بها المجتمع ممن يتطاولون على منطقه و معقوله. (4)

خاتمة

وكخاتمة يمكن نقل قول علاء الدين محمود:لقد انحسرت الكتابات الساخرة عربياً لأسباب معروفة، إلاّ أنها مطلوبة اليوم أكثر من أي وقت مضى في ظل الواقع المتشظي الذي نعيشه، كونها تمتلك سلاح الجراءة في مواجهة هذا الواقع، وهذا يتطلب كتابة ساخرة بشروط الأدب الساخر وليس فقط مجرد دعابات عابرة لا تمتلك تأثيراً؛ فمهمة الكتابة الساخرة عربياً، محاربة ظواهر مثل التخلف والتطرف والجهل.

قائمة المراجع

[1] نبيل راغب:الأدب الساخر،مكتبة الأسرة ،مصر،2000.

[2] عبد القادر حمود:هكذا يسخر الشعراء دراسة عامة عن الشعر الساخر من الجاهلي إلى اليوم،دار نون 4 للنشر والطباعة والتوزيع،مصر،2010.

مراجع الأنترنيت

[3] الأدب الساخر (الفكاهي)مفهومه ووظيفته.. https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/c80b6c70-c5f2-4658-8ce4-762d32f2c30a?t=%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AE%D8%B1%20-%20%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%A7%D9%87%D9%8A%20-%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85%D9%87%20%D9%88%D9%88%D8%B8%D9%8A--%D9%81%D8%AA%D9%87

[4] الأدب الساخر.. في مواجهة الهيمنة والاستبداد https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/opinions/2021/7/7/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AE%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%86%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D8%AF